التوقيعات في النثر الفني في العصر العباسي

SUMMARY

Signing the official documents has always been very remarkable in governmental affairs. However, in Classical Arabic periods to sign the official documents has been an Art. Caliphs of that periods not only had good taste for literature but also played vital role for its promotion. Thus, signing the official documents became an Art of Arabic Literature. Holy Prophet's stamp is well known in this concern.

Four Caliphs and rulers of Umayyad and Abbasid Regime signed the Document presented before them in a very special and unique way. They used to write any small verse from poetry or any statement based on Hikmah. This verse or Hikmah matched with the facts and findings of the concerned Document presented before the Caliph. It also showed Caliph's concern to the matter and his pleasure or displeasure. These statements became part of Arabic Literature afterwards. In the following Article this Art is discussed in detail.

بسم الله الرحمن الرحيم

التوقيعات في النثر الفني في العصر العباسي

* الدكتورة راحيلة خالد قريشي

** عبدالرحمن رفيق

كما نعلم انه يزخر الادب العربي في العصر العباسي بصنوف من الاداب والفنون وخاصة ازدهرت فيه النثر الفني من الفنون النثرية الادبية من التوقيعات ايضا فن ادبي من فنون النثر العربي الذي ارتبط بالكتابة منذ نشاتها وشيوعها, وقد قدمت في هذه المقالة بحثا موجزا ليكون مدخلا الى دراسة هذالفن لانه لم تاخذ حظا وافرا من البحث والدراسة, وهذه الناحية للنثر الفني لا يزال مجهولا عند الطلاب والدارسين للادب العربي قبل ان نتحدث عن مظاهرها في العصر العباسي يهم لنا ان نعرف معانيها اللغوية والاصطلاحية.

التوقيع في اللغة هو التاثير، يقال: وقَعَ الدَّبرُ[1] ظهرَ البعير إذا أثر فيه، وكذلك الموقِّع (كاتب التوقيع)

ي وثرفي الخطاب، أو الكتاب الذي كتب فيه حسًا أو معنى[2] .

وقيل: إن التوقيع مشتقٌ من الوقوع؛ لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه، أو لأنه إيقاع الشيء المكتوب في الخطاب أو الطلب، فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه[3] .

قال الخليل[4] : « التوقيع في الكتاب إلحاقٌ فيه بعد الفراغ منه. واشتقاقه من قولهم: وقعْتُ الحديدة بالميقعة، وهي المطرقة: إذا ضربتها، وحمار موقَّع الظهر: إذا أصابته في ظهره دَبَرَةٌ. والوقيعة: نُقْرَةٌ في صخرة يجتمع فيها الماء، وجمعها: وقائع. قال ذو الرمة:

ونلنا سِقاطًا من حديثٍ كأنَّـهُ جَنىَ النحلِ ممزوجًا بماءِ الوقائعِ[5]

فكأنه سُمِّى توقيعًا؛ لأنه تأثير في الكتاب، أو لأنه سببُ وقوع الأمر وإنفاذه، من قولهم: أوقعت الأمر فوقع[6] » .

وأميل إلى ترجيح السبب الأخير؛ لأن التوقيع يتضمن إجراءًا يلزم تنفيذه.

وقال ابن الأنباري: « توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفضول.وهو مأخوذ من توقيع الدَّبَر ظهر البعير؛ فكأن الموقِّع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه » [7] .

وقد اكتسبت التوقيعات في الإسلام معنىً اصطلاحيًا يرتبط بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه، فأصبحت تستعمل لما يوقعه الكاتب على القضايا أو الطلبات المرفوعة إلى الخليفة

أو السلطان أو الأمير، فكان التوقيع في الاصطلاح:

اكتسبت التوقيعات في الإسلام معنىً اصطلاحيًا يرتبط بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه، فأصبحت تستعمل لمايوقعه الكاتب على القضايا أو الطلبات المرفوعة إلى الخليفة أو السلطان أو الأمير، فكان

[8] الكاتب يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه، فإذا عرضت قضية على السلطان أمر الكاتب أن يوقع بما يجب إجراؤه، وقد يكون الكاتب أحيانًا السلطان نفسه.

يقول البطليوسي (44- 521هـ) في تعريف التوقيع: (وأما التوقيع فإن العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك، أو مَنْ له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في عَرْضه، بإيجاب ما يُسْأل أو منعه، كقول الملك: ينفذ هذا إن شاء الله، أو هذا صحيح. وكما يكْتب الملك على ظهر الكتاب: لِتُرَدَّ على هذا ظلامته. أو لينظر في خبر هذا، أو نحو ذلك)[9] .

ويقول ابن خلدون (732 – 808هـ)[10] :

«ومن خُطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه أح كامها والفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه. فإما أن تصدر كذلك، وإما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة، ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه » .

تطور دلالتها:

تطوَّر مفهوم التوقيعات في العصر العباسي، واكتسب معنى أدبيًا، فأصبحت تطلقُ على تلك الأقوال البليغة الموجزة المعبرة التي يكتبها المسؤول في الدولة، أو يأمر بكتابتها على ما يرفع إليه من قضايا أو شكايات، متضمنة ما ينبغي اتخاذه من إجراء نحو كل قضية أو مشكلة، وهي بهذا المفهوم أشبه ما تكون بتوجيه المعاملات الرسمية في الوقت الحاضر.

وفي العصور الوسطى أضيف إلى التوقيعات دلالة جديدة مع بقاء دلالتها الأدبية السائدة في العصر العباسيّ، حيث أصبحت تطلق على الأوامر والمراسيم التي يصدرها السلطان أو الملك؛ لتعيين والٍ، أو أمير، أو وزير، أو قاضٍ، أو حتى مدرس، وامتازت بطولها، والإسهاب في ذكر الحيثيات والأسباب المسوغة للتعيين؛ حتى تجاوز بعضها أربع صفحات، وقد أورد القلقشندي في صبح الأعشى نماذج كثيرة منها[11] ولا يتسع المجال لذكر شيء منها.

والتوقيعات بهذا المفهوم لا تُعَدُّ توقيعات أدبية لافتقادها عنصري البلاغة والإيجاز، ولا تدخل ضمن هذا البحث، وعَدُّها من باب الكتابة الديوانية والنثر التاريخي أولى وأصح.

ثم تحول معناها بعد ذلك إلى علامة اسم السلطان خاصة التي تذيل بها الأوامر والمراسيم والصكوك كالإمضاء عندنا[12]، ثم توسع في معناها فأصبحت تدل على تأشيرة الاسم، وهي كتابته بتلك الهيئة الخاصة التي تقابل في الإنجليزية لفظة (Signature).

أنواع التوقيعات الأدبية:

بعد أن تحدثنا عن التطور الدلالي للفظة (التوقيع)، يحسن أن نتحدث بإيجاز عن أنواع التوقيعات الأدبية، التي نلاحظ – من خلال استقرائها وتتبعها في كتب الأدب والتراث - أنها لا تخرج عن الأنواع التالية:

1- قد يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب، أو اشتملت عليه القضية.

من ذلك ما ذكر[13] أن أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي[14] كان قبل اتصاله بمعز الدولة وتقلده منصب الوزارة يعاني من قلة ذات اليد وشدة الفقر وضيق الحال، وكان يشكو رمدًا في عينيه لا يفارقه، وسافر في بعض الأيام مع رفيق له أديب من أهل الأسفار والتجوال[15] ، ولكنه لقي في سفره هذا مشقة ونصبا، فلا زاد معه ولا مال، ونزل مع رفيقه في بعض الأماكن واشتهى اللحم، فلم يجد ثمنه، فأنشد ارتجالاً ورفيقه يسمع:

ألا مَوْتٌ يُبَاعُ فأشْتَريهِ ... فهذا العيشُ مالا خيرَ فيهِ

ألا مَوْتٌ لذيذُ الطعمِ يأتِي ... يُخلِّصُني من العيشِ الكريهِ

إذا أبصَرْتُ قبرًا من بعيدٍ ... ودِدْتُ لو أنَّني مما يليهِ

ألا رَحِمَ المهيمنُ نفْسَ حُرٍّ ... تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

فتأثر رفيقه بالأبيات ورثى لحاله، ورق له، فاشترى له بدرهم لحمًا، وأعده وقدمه إليه، وتفرقا.

ثم تتابعت الأيام، وتغيرت الأحوال، وحسنت حال المهلبي وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة البويهي، وضاقت الحال برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم، وحقق له رغبته، وآل به الأمر إلى أن جلس على بساط الفقر والفاقة، وبلغه تولي المهلبي الوزارة، فشد الرحال وقصده في بغداد، فلما بلغه كتب إليه رُقعَة تتضمن أبياتًا، منها:

ألا قُلْ للوزير فدتْه نفْسِي ... مَقَالَ مُذكِّرٍ ما قد نسيهِ

أتذكرُ إذ تقول لضنْكِ عَيْشٍ: ... (ألا مَوْتٌ يباعُ فأشتريهِ)

فلما قرأ المهلبي الأبيات تذكر صحبة رفيقه، وفضله عليه، وهزته أريحية الكرم ورعاية حق الصحبة، وردّ الفضل لأهله والمعروف لمستحقيه.

إنّ الكرامَ إذا ما أسهَلوا ذَكَروا مَنْ كان يألفُهمْ في المنزلِ الخَشِ[16]

فأمر له بسبع مئة درهم، ووقّع في رقعته قوله تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ} [17].

ثم دعاه وأكرمه، وقلده عملاً مناسبًا يرتزق به [18].

والتوقيع الذي وقعه المهلبي على رقعة صاحبه (الآية القرآنية الكريمة) يبدو مطابقًا تمامًا لفحوى القصة ومضمونها، أعطاه رفيقه درهما في وقت الضيق والشدة، فأعطاه هو سبع مئة درهم في وقت السعة والرخاء تحقيقًا لما في الآية الكريمة.

ومن ذلك [19] ما كتب به عامل إرمينية إلى المهدي الخليفة العباسي يشكو إليه سوء طاعة الرعية، فوقع المهدي في خطابه قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[20]. والتوقيع بألفاظ القرآن حسن في الجدّ من الأمور، محظور في المُزْح والمطايبة[21].

2- وقد يكون التوقيع بيت شعر. من ذلك[22]ما كتب به قتيبة بن مسلم الباهلي إلى سليمان بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي يتهدده بالخلع، فوقع سليمان في كتابه:

زعمَ الفرزدقُ أن سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أبشرْ بطولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ[23]

وكتب [24]ألفونس السادس ملك قشْتالة إلى يوسُف بن تاشِفين أمير المرابطين في الأندلس يتوعده ويتهدده، فوقع يوسف في كتابه بيت أبي الطيب المتنبي:

ولا كُتُبَ إلا المُشَرفِيَّةَ والقَنَا ولا رُسُلٌ إلا الخميسُ العَرْمَرَمُ[25]

3- وقد يكون مثلاً سائرًا. من ذلك ما وقع[26] به علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه- : « في بيته يؤتى الحكم) [27]» .

ومن ذلك أيضًا ما وقّع به يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وقد أخبر يزيد أنه يتلكأ في مبايعته بالخلافة: « أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت »[28].

4- وقد يكون التوقيع حكمة، من ذلك ما وقع به السفاح الخليفة العباسي الأول في رقعة قوم شكوا احتباس أرزاقهم: « من صبر في الشدة شارك في النعمة »[29].

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى الخليفة المأمون يعتذر إليه مما بدر منه من خروجه عليه، ومطالبته بالخلافة، فوقع المأمون في كتابه: « القدرةُ تُذْهِبُ الحفيظة، والندم جزء من التوبة، وبينهما عفو الله »[30].

5- وقد يكون التوقيع غير ذلك، رفعت إلى يحيى بن خالد البرمكي رسالة ركيكة العبارة، كتبت بخط جميل فوقع: « الخط جسمٌ روحه البلاغة، ولا خير في جسمٍ لا روحَ فيه »[31].

ووقع ابنه جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي لبعض عماله: « قد كَثُرَ شاكوكَ، وقل شاكروك، فإما عَدَلْت، وإما اعتـزلت »[32].

متى وجدت التوقيعات في الأدب العربي؟:

التوقيعات فن أدبي نشأ في حضن الكتابة، وارتبط بها، ولذلك لم يعرف عربُ الجاهلية التوقيعات الأدبية ولم تكن من فنون أدبهم[33].

ولعل أقدم ما أثر من توقيع في تاريخ الأدب العربي ما كتب به أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – إلى خالد بن الوليد – رضي الله عنه – حينما بعث للصديق خطابًا من دومة الجندل يطلب أمره في أمر العدو، فوقع إليه أبو بكر: « ادن من الموت توهبْ لك الحياة »[34].

ثم شاعت التوقيعات في عهد عمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم -، لشيوع الكتابة، وامتد هذا الشيوع بصورة أوسع في عصر بني أمية.

ولذلك نلحظ أن التوقيعات فن أدبي نشأ في عصر صدر الإسلام، وليس صحيحًا ما ذهب إليه بعض مؤرخي الأدب العربي من أن التوقيعات فن أدبي عباسي، أخذه العباسيون من الفرس[35].

في العصر العباسي:

والحقّ أن التوقيعات الأدبية لم يكتب لها حظ من الذيوع والانتشار إلا في العصر العباسيّ، وذلك حينما ازدهرت الكتابة الفنية، وتعددت أغراضها، وحلت محل الخطابة في كثير من شؤون الدولة وقضاياها، وأصبح الكاتب البليغ مطلبًا من مطالب الدولة تحرصُ عليه وتبحث عنه ، لتسند إليه عمل تحرير المكاتبات، وتحبير الرسائل في دواوينها التي تعدّدت نتيجة لاستبحارها، واتساع نطاقها، وكثرة ما يجبى من الخراج من الولايات الإسلامية الكثيرة المتباعدة، وأصبح لا يحظى بالوزارة إلا ذوو الأقلام السيالة من الكتاب والبلغاء المترسلين كالبرامكة، والفضل بن الربيع، والفضل والحسن ابني سهل،وغيرهم من الكتاب الذين جمعوا بين الوزارة والكتابة الأدبية البليغة. وقد ألم بكثير من أخبارهم وآثارهم كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبدالله محمد ابن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة 331هـ، وكتاب تحفة الوزراء المنسوب لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي المتوفى سنة 429هـ.

بل إن الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول (132 – 232هـ) كانوا يطلعون على ما يرد إليهم من كتب ورسائل فيوقعون عليها، وصدرت عنهم توقيعات بليغة وصل إلينا منها قدر لا بأس به[36].

وفي العصر العباسي الثاني (232 – 334هـ) والثالث (334 – 447هـ) شاعت التوقيعات على أقلام عدد من الكتاب والوزراء المشهورين من ذلك ما ذكره الثعالبي[37]أن الصاحب بن عباد (326 – 385هـ) رفع إليه بعضهم رقعة يذكر أن بعض أعدائه يدخل داره فيسترق السمع، فوقع فيها: « دارنا هذه خان، يدخلها مَنْ وفي ومن خان » . وكتب إليه إنسان رقعة أغار فيها على رسائله، وسرق جملة من ألفاظه، فوقع فيها: « هذه بضاعتنا ردت إلينا [38]» . ووقع في رقعة استحسنها {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ}[39] .

ورفع صاحب خراسان إلى المنصور رسالة، بدا للخليفة منها أنه أساء في التصرف، فوقع عليها بقوله "شكوت فأشكيناك،عتبت فأعتبناك، ثم خرجت على العامة، فتأهب لفراق السلامة"

فالخليفة أبو جعفر المنصور اشتهر عنه سعة الأدب، والعقل الراجح، وعمق البصيرة، وحسن السيرة، وكان يختار حكام الولايات من الدولة العباسية، ممن عرفوا بحصافة الفكر، وفصاحة اللسان، والأمانة في العمل والقدرة في التعامل مع الناس، فلما جاءه والي خراسان يشتكي الرعية هناك، سمع شكواه، وبيان دعواه، فانتصر له بمعاقبة المخالفين وحين أظهر عتبه على الخليفة بأنه يريد المزيد من القوة والحزم، وتطاول في باعه على عامة الناس، لم يسمع له الخليفة وبين له سوء حاله، وعدم قدرته على مواصلة الحكم بمنتهى الإيجاز والتوقيع السابق، ثم بشره بخلعه عن الحكم.

وكتب إليه عامله بمصر، يشكو من نقصان النيل، فوقع المنصور على الكتاب وقال: "طهّر عسكرك من الفساد، يُعْطِك النيل القياد".. ومعروف أن مصر تعتمد على النيل في ري أراضيها، وخصب مزروعاتها، حتى إن فيضان النيل يأتي بالخير العميم، وري الأراضي وجلب الطمي –الغني والصالح للمزروعات فكون أراضي الدلتا التي تعتبر إلى الآن من أخصب بقاع العالم قاطبة، ربط بين حال الناس وما بهم من نعيم، وبين ما هم عليه من أعمال، فبين الإسلام "ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم" الأنفال 53.فانحباس الأمطار، وغلاء الأسعار، وانتشار المجاعات جميعها امتحان من الله وإنذار لهؤلاء الناس بأن يحسنوا أعمالهم قبل أن ينالهم عقاب الله في الدنيا والآخرة.. فعندما شكا حاكم مصر نقصان مياه النيل، بادره المنصور على الفور، قد يكون أعمال العساكر السبب في ذلك، فطلب منه على الفورتطهيرالعساكرمن الفساد وإصلاح أعمالهم لانفراج أحوالهم.وربط المنصور بين سوء الحال، ونقصان مياه النيل، وبين فساد العساكر لذاك الحاكم، وهذا تلميح للحاكم بظلم عساكره وفساد حكمه.ورفعت إلى المهدي قصة رجل حبس في دم فوقع فيها بقوله: "ولكم في القصاص حياة" البقرة 179.ومع أن هذا التوقيع اقتباس من القرآن الكريم إلا أنه اقتباس جاء من المهدي كأنه إقرار لحكم وضعي يتفق مع حكم إلهي.فمن أباح دم الناس واستحل حرماتهم، أباح الله دمه، واستحق القصاص، لأن في القصاص حياة لمجتمعات

الأمة التي تنعم بالأمن والاستقرار، بل إن هذا الحكم لا يدركه إلا أولو الألباب، وهم أصحاب العقول الكبيرة، الذين يتدبرون في هذا القصاص منع تسرب الجريمة وإفشائها، وبالتالي فإن هذا القصاص هو حياة الآمنين في المجتمعات السلمية.

جاء توقيع المهدي -وهو من خلفاء العصر الذهبي العباسي- جاء كأنه مصادقة الخليفة على حكم وضعي يتمشى مع حكم إلهي، فهو بمثابة تطبيق لشريعة الله في أرضه. كلمات موجزة ولكنها تتضمن معان عميقة، لا يدركها إلا أصحاب العقول الكبيرة. وبعث إليه عامل أرمينية، يشكو إليه سوء طاعة الرعية، فوقع إليه بقوله: "خذ العفو وأمر بالعرف أعرض عن الجاهلين" فهذا الإيجاز وإن كان اقتباساً من القرآن الكريم، إلا أنه يضع الحلول للمسائل التي شكا منها عامل أرمينية، وهي باختصار شديد يبين به المهدي أن سوء ما شكا به حاكم أرمينيا، سببه حرفية الحكم، وحيفه في تطبيق النظام، وعدم المرونة في تسيير دفة الحكم، وهذا أصبح علماً بذاته، ومهما اجتهد بهذا العلم، تبقى هناك أمور كأنها قواعد أخلاقية لإدارة الشعوب ومنها- العفو عند المقدرة، فليس المهم المحاسبة على الأخطاء، ولكن الأهم من ذلك، الوقاية من الوقوع في هذه الأخطاء، والعفو عن المسيء، واستئصال الإساءة من قلبه، فلا يعود إليها. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإعراض عن الجاهلين، من شيم النفوس العزيزة والأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة -والتي تمثل خلق المسلم- وبمثل ذلك تساس الرعية.وكلنا نعرف شعرة معاوية ابن أبي سفيان -التي ما انقطعت بينه وبين خصومه، ساس بلاده بالحلم والروية، وعفا عند المقدرة، واتسع صدره للأحنف بن قيس، وأعطى الهدايا، وأعرض عن الجاهلين، فكسب قلوب العامة والخاصة، فجاءت سيرته عطرة، وشاد حضارة لا تفنى، وأرسى قواعد الدين الإسلامي الذي لا يتزعزع، "المسلم أخو المسلم" "كلكم لآدم وآدم من تراب" وجميعها أحاديث صحيحة وردت في الصحيحين.

ووقع الخليفة الرشيد إلى صاحب خراسان، وقد بدا تذمر الناس عليه: داو جرحك لا يتسع، التلميح عن التصريح، فهذا التلميح يطلب به أمير المؤمنين من واليه في وقد يغني خراسان، أن يقوّم ما اعوجّ من حكمه، قبل أن يؤدي اعوجاجه هذا إلى كسره وعزله، فاستعار الجرح كناية عن الخلل في طريقه الحكم، فإن ترك الجرح بدون دواء، تجثم والتهب وتسبب بالتسمم لسائر أعضاء الجسم، فيهزل ويمرض وربما يموت.

كذلك فإن الحكم يكون بالعدل والتسامح والحزم بدون شدة، ولين بدون ضعف، فأي خلل بهذا الدستور، يختل التوازن بهذا الحكم، فإن اختل توازن الحكم اعتلت صحته وبالتالي تتسع دائرة العصيان عليه، فإذا هي ثورة جامحة، تتقد وتحرق بنيرانها الحاكم، والأبرياء من الناس.هذه وصية أمير، هي كالدواء لداء إن لم يعالج استفحل وفتك بأهله.ووقع الخليفة المأمون -المشهور بالعلم والفصاحة- التوقيع السابق في قصة عامل كثرت منه الشكوى، والمأمون بهذا التوقيع يذكر عامله بما بلغه من كثرة الشاكين وقلة الراضين عنه، فإن كثرت الشكوى على الولاة دلت على أنه غير كفوء للولاية، والأجدر به أن يعتذر عن مواصلة الحكم.فكثرة الشكاوي تدل على كثرة المظالم للرعية، وكما أن المبايعة علامة

الرضى، فإن عدم الرضى يدل على عدم مبايعة الناس وموافقتهم لذلك الوالي، ومع كثيرة الشكاوي قل عدد المبايعين والراضين عن ذلك الحاكم، فجاء القول الفصل من أمير المؤمنين "كثر شاكوك.. وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وأما اعتزلت". فهذه إشارة من أمير المؤمنين، الخليفة المأمون إلى عامله، وتحذير له بأن يعتدل، أي يقيم العدل، أو عليه أن يعتزل ويترك الحكم، فوضعه أمام اختيارين إما الاعتدال أوالاعتزال، مصداقاً لقوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة 44"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" المائدة 45"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" المائدة 47 وقوله تعالى: "وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون" صدق الله العظيم. المائدة 49ووقع الخليفة المأمون في كتاب لعمه "إبراهيم بن المهدي" الذي رجع إلى طاعته بعد أن أعلن العصيان عليه، وطمع في ولاية خراسان، بعد مقتل أبي مسلم الخراساني، فخاف أن يلقى مصير أبي مسلم، إن تمادى في غيه وعصيانه، فكتب إلى ابن أخيه أمير المؤمنين."ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" المائدة 56.ثم أعلن توبته.فكتب إليه المأمون "القدرة تذهب الحفيظة" والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله".. ثم طلب منه أن يتلو هذه الآية: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإخوانكم في الدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون" صدق الله العظيم. التوبة 11

وقع الخليفة المأمون كتاباً لوزيره الفضل بن سهل، في قصة متظلم بقوله: "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" الروم 47

وهذا الاقتباس من القرآن الكريم يدل على سعة في العلم، والتفقه في الدين.. كما ويدل على أن الخليفة في العصور الإسلامية الذهبية، كان واعياً لكل ما يدور في بلاده، فلا يترك الحبل على غاربه، ولا يتقوقع داخل قصره، مهملاً شؤون دولته وتاركاً لبطانته أن تسيد وتميد في البلاد متمثلاً بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "والله لو أن بغلة في أرض العراق عثرتْ، لسئلت عنها أمام الله" .

شخصية كاتب التوقيعات:

في هذه البيئة الفنية الخصبة ازدهرت التوقيعات[40]، وأنشئ لها ديوان خاص سمي بديوان التوقيعات، وأسند العملُ فيه إلى بلغاء الأدباء والكتاب ممن استطارت شهرتهم في الآفاق، وعرفوا ببلاغة القول، وشدة العارضة، وحسن التأتي للأمور، والمعرفة بمقاصد الأحكام وتوجيه القضايا. يقول ابن خلدون (732 – 808هـ) في ذلك:

« واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرضُ في مجالس الملوك، ومقاصد أحكامهم، مع ما تدعو إليه عِشْرة الملوك من القيام على الآداب، والتخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه في الترسيل، وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها » [41].

وكان للتوقيعات البليغة الموجزة رواج عند ناشئة الكتاب وطلاب الأدب، فأقبلوا عليها ينقلونها ويتبادلونها ويحفظونها، وينسجون على منوالها.

يقول ابن خلدون:

« كان جعفر بن يحيى البرمكي يوقع القصص بين يدي الرشيد، ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها؛ للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها؛ حتى قيل: إنها كانت تباع كُلُّ قصة منها بدينار» [42]

وكان يقول لكُتّابه[43]: إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا .

وسبق أن بيّن لنا ابن خلدون في الحديث عن المعنى الاصطلاحي للتوقيع الكيفية التي تنم فيها التوقيعات في مجلس الخليفة أو السلطان.

وكما برع العباسيون في فن التوقيعات كذلك برع فيها الأندلسيون[44]، ولا سيما بعد استقرار دولتهم، وأخذهم بأسباب المدنية والحضارة.

والتوقيعات عند الأندلسيين في حاجة إلى بحث مستقل، فعسى أن أوفق إلى ذلك.

مقاييس التوقيع الأدبي:

ليس كل توقيع يصلح أن يكون توقيعًا أدبيًا، وإنما يشترط في التوقيع لكي يكون كذلك الشروط التالية:

1- الإيجاز، وهو أن تكون ألفاظه قليلة معدودة ذات معانٍ غزيرة.

وقد بالغ بعض الكتاب والأدباء في وجازة التوقيع؛ حتى إن بعضهم اقتصر في بعض توقيعاته على حرف، أو نقطة. ذُكرَ أن الصاحب بن عباد الوزير الأديب المؤلف وقع في رقعة بألف، وفي أخرى بنقطة، وذلك أنه التمس منه بعض السائلين شيئًا من مال، ثم كتب في آخر رقعته « فإن رأى مولانا أن يَفْعَلَ ذلك فَعَل » ، فوقع الصاحبُ قبل (فَعَل) ألفًا، فصار (أفعلُ). وأما النقطة فإنه وضعها في رقعة على لفظة (يفعل)، فنقط الياء من فوقها فصارت نونًا[45] .

ولا شك أن ما فعله الصاحب يعد من التوقيعات المستظرفة المستملحة، وإن كان يبدو توقيعه متكلفًا لا بلاغة فيه.

1 - البلاغة، وهو أن يكون التوقيع مناسبًا للحالة، أو القضية التي قيل فيها.

2 - الإقناع: وذلك أن يتضمن التوقيع من وضوح الحجة وسلامتها ما يحمل الخصم على التسليم، ومن قوة المنطق وبراعته ما يقطع على صاحب الطلب عودة المراجعة.

ومن التوقيعات التي توافرت فيها الشروط الثلاثة ما وقع به عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي لعامله بحمص في الشام حينما كتب إليه أن مدينته تحتاج إلى بناء حصن لحمايتها من الأعداء: « حصنها بالعدل. والسلام »[46]

وكذلك ما وقع به أبو جعفر المنصور حين كتب إليه عامله بمصر يذكر نقصان النيل « طهر عسكرك من الفساد، يعطك النيل القياد »[47].

ومن التوقيعات المستحسنة ما كتبه يحيى بن خالد البرمكي في الاستبطاء والاقتضاء: « في شكر ما تقدم من إحسانك شاغلٌ عن استبطاءِ ما تأخر منه »[48].

أثر التوقيعات في السياسة والأدب:

أسهمت التوقيعات الأدبية منذ أبكر عصورها في توجيه السياسة العامة للدولة الإسلامية، في عصر صدر الإسلام، ودولة بني أمية، ودولة العباسيين، وكان الخلفاء في أكثر الأحايين هم الذين يتولون توجيه ما يرد إليهم من رقاع أو خطابات أو معاملات كما نسميها بلغة عصرنا، وكان التوجيه في حد ذاته توقيعًا أدبيًا موجزًا يتضمن الرأي، أو ما يجب إجراؤه، ويكلون التوجيه والتوقيع إلى بعض الكتاب البلغاء تحت إشرافهم في بعض الأحيان، وكان في ذلك كله ثروة لا تقدر بثمن في بناء الدولة وسياسة الرعية، وإغناء التاريخ بالنافع المفيد، وإثراء الأدب والفكر، فالتوقيع يحمل رأيًا صائبًا، أو فكرة جديدة، أو حكمة بالغة، أو توجيهًا سديدًا. ويحرص كاتب التوقيع أن يكون توقيعه بليغًا مؤثرًا موجزًا، يعرضه في كلمات قليلة. وهذا أتاح للأدب العربي أن يظفر بطائفة من التعبيرات الأدبية الراقية، تضم إلى ما أثر عن العرب من حكم وأمثال وأقوال بليغة.

والذي جعل للتوقيعات هذه القيمة السياسية هو أنها ارتبطت منذ نشأتها بدواوين الخلفاء والوزراء، وكانت إحدى الوسائل المباشرة – مثلها مثل الرسائل والخطب – لتوجيه السياسة العامة للدولة، وتزويد الولاة والقواد في ولاياتهم ومواقع حروبهم بالنصائح والإجراءات المناسبة؛ فكل توقيع يوقعه الخليفة إلى والٍ أو وزير أو قائد يتضمن توجيهًا ذا علاقة بسياسة الدولة. من ذلك ما وقع به المأمون في قصة متظلم من حميد الطوسي[49]أحد قواده : « يا أبا حامد إلا تتكل على حسن رأيي فيك؛ فإنك وأحد رعيتي عندي في الحق سواء[50]وما وقع به إلى أحد عماله، وقد شكاه أهل عمله: « إن آثرتَ العدل حصلت على السلامة، فانصف رعيتك من هذه الظَّلامة[51]» . والتوقيعان يحثان على وجوب العدل بين الناس في الحقوق والمعاملات.

نشأة الكتابة عند العرب:

ليست التوقيعات فنًا أدبيًا يؤدى بوساطةالمشافهة والارتجال، كالخطابة، والوصية، والمحاورة، والمفاخرة، والمنافرة، وغيرها من الفنون الأدبية الشفهيةالتي شاعت في العصر الجاهلي، بل هي فن كتابي وجد مع شيوع الكتابة وازدهارها؛ ولذلك نرى غياب هذا الفن في البيئات التي تعتمد على إيصال آثارهاإلى الآخرين بوسيلة الخطاب المباشر القائم على اللسن والارتجال، وما دام الأمر كذلك، فلابد من تمهيد أتحدث فيه عن نشأة الكتابةعندالعرب وتطورها حتى أصبحت فنًا أدبيًا قائمًا، له قواعده وأصوله المعروفة؛ لارتباطها بنشأة التوقيعات في الأدب العربي.

الهوامش والتعليقات

(1) الدَّبرُ: بفتح الدال والباء: قروح تصيب الإبل في ظهورها من جراء الحمل أو القتب.
(2) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليُوسي: 220/2، واللسان والتاج (وقع)، وتاريخ اللغة العربية، لجرجي زيدان ص : 25 مطبعة الهلال بمصر، عام: 1904م.
(3) زهر الأكم في الأمثال والحكم: 220/2، والتاج (وقع).
(4) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: 196/1. والقول من غير عزو في اللسان (وقع).
(5) البيت في ديوانه: 786، والأساس (سقط)، ووردت الكلمة بهذا المعنى في أكثر من موضع في شعره. يقال: تذاكرنا سِقاط الحديث، وساقطهم أحسن الحديث، وهو أن يحادثهم شيئًا بعد شيء. وسقاط الحديث: أن يتحدث الواحد وينصت له الآخر، فإذا سكت تحدث الساكت. الأساس وشرح الديوان.
(6) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: 196/1.
(7) تهذيب اللغة (وقع) : 35/3 – 36، واللسان (وقع).
(8) انظر: تاريخ اللغة العربية، ص: 25.
(9) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: 195/1.
(10) المقدمة ص:681، تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثانية: 1981.
(11) انظر من صبح الأعشى: 292/10-467، 33/11-425، 36/12-482، 13/13-46. وراجع فهارس الكتاب التي أعدها وصنفها محمد قنديل البقلي ص: 12-29.
(12) تاريخ اللغة العربية، ص: 25.
(13) راجـع المثال والتوقيع في : إحكام صنعة الكلام، للكلاعي: 162- 163، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت 1966، والمستطرف: 67/2، وترجمة المهلبي في وفيات الأعيان: 124/2 – 127، وفوات الوفيات: 353/1-357.
(14) ترجمته في وفيات الأعيان: 174/1- 177.
(15) قيل: إنه أبو عبدالله الصوفي، وقيل: أبو الحسين العسقلاني، وفيات الأعيان: 124/2.
(16) تنازعه عدد من شعراء العصر العباسي، منهم البحتري ديوانه: 2684/5، وشرح المضنون به على غير أهله : 223، وانظر مزيد تخريج له في حاشية الديوان، وحاشية كتاب الآداب: 498.
(17) سورة البقرة، الآية: [261].
(18) أورد القصة موجزة القلقشندي في صبح الأعشى: 41/1.
(19) العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين: 212/4.
(20) سورة الأعراف، الآية: [199].
(21) تحفة الوزراء المنسوب للثعالبي، 148، ت/ حبيب علي الراوي، و د. ابتسام مرهون الصفار، بغداد: 1977م.
(22) العقد الفريد: 208/4.
(23) البيت لجرير، ديوانه: 348، بشرح الصاوي، واللسان والتاج (ربع). مربع: لقب لرواية جرير، واسمه وعوعة بن سعيد بن قرط بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه. انظر التاج، وحاشية شرح الديوان.
(24) إحكام صنعة الكلام: 164.
(25) شرح ديوانه: 70/4، ط البرقوقي. المشرفية: السيوف. القنا: الرماح. الخميس: الجيش. العرمرم: الكثير.
(26) العقد الفريد: 206/4.

(27) مجمع الأمثال للميداني: 442/2، ط محمد أبو الفضل إبراهيم، الحلبي، القاهرة.
(28) العقد الفريد: 210/4.
(29) المصدر السابق: 211/4.
(30) المصدر نفسه: 216/4.
(31) تحفة الوزراء: 146.
(32) المصدر السابق: 147، والعقد الفريد: 219/4.
(33) العقد الفريد: 157/4.
(34) خاص الخاص، للثعالبي: 269.
(35) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، لشوقي ضيف: 489.
(36) انظر: العقد الفريد 211/4-216، وخاص الخاص: 276-282.
(37) يتيمة الدهر: 197/3، وإحكام صنعة الكلام: 160- 161.
(38) يتيمة الدهر: 197/3.
(39) المصدر نفسه. والتوقيع آية قرآنية. [الطور: 15].
(40) الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر، 53-54، تحقيق: د. محمد حسين الزبيدي – دار الرشيد للنشر، بغداد : 1981.
(41) المقدمة: 681.
(42) المصدر نفسه: 681.
(43) البيان والتبيين: 115/1، والعقد الفريد: 272/2، والصناعتين: 179.
(44) التاج (وقع).
(45) تحفة الوزراء:144، وإحكام صنعة الكلام: 161.
(46) خاص الخاص: 274.
(47) العقد الفريد: 212/4.
(48) تحفة الوزراء: 145.
(49) هو أبو غانم حميد بن عبدالحميد الطوسي، من كبار قواد المأمون، وكان جبارًا، فيه قوة وبطش وإقدام، وكان المأمون يندبه للمهمات، مدحه بعض الشعراء. توفي عام 210هـ. وفيات الأعيان: 351/3 – 354 (ترجمة العكوك)، والنجوم الزاهرة: 190/2.
(50) خاص الخاص: 280. وهكذا وردت كنيته في المصدر.
(51) المصدر نفسه: 281.

المصادر والمراجع

1- أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي (القرن السادس) إحكام صنعة الكلام،تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى: 1966م، دار الثقافة، بيروت.

2- جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري (467 – 538هـ)،أساس البلاغة، دار مطابع الشعب: 1960م، القاهرة.

3- أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي (368 – 463هـ)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة.

4- عز الدين الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (555- 630هـ).أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمود عبدالوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة.

5- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852هـ)،الإصابة في تمييز الصحابة، حققه: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوّض، الطبعة الأولى: 1415هـ= 1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6- خير الدين الزركلي (1310 – 1396هـ= 1893 – 1976)،الأعلام (قاموس تراجم)، الطبعة السابعة: 1986م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

7- عمر رضا كحالة (1323 – 1408هـ = 1905- 1987م)،أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الطبعة الرابعة: 1402 = 1982م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

8- أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (284 – 356هـ)،الأغاني، الطبعة الثالثة: 1381 هـ= 1962م، دار الثقافة، بيروت.

9- أبو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيد البطليوسي (444 – 521هـ).الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، حققه: الأستاذ مصطفى السقا، والدكتور حامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1981 - 1983م.

10- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (151 – 224هـ)،الأمثال، تحقيق: عبدالمجيد قطامش (000- 1414هـ = 000- 1993م)، الطبعة الأولى: 1400هـ = 1980م، جامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، طبع: دار المأمون للتراث، دمشق.

11- د. بهجة عبدالغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت (000- 8هـ) حياته وشعره، دراسة وتحقيق الطبعة الثانية: 1991م، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

12- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (150 – 255هـ)،البيان والتبيين، حققه: عبدالسلام محمد هارون (1327- 1408هـ = 1909 – 1988م)، الطبعة الثانية: 1380هـ = 1960م، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

13- د. شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة.

14- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310هـ)،تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (1322 – 1401هـ = 1905- 1981م)، الطبعة الأولى: 1960م، دار المعارف بمصر.

15- جورجي زيدان (1278 – 1332هـ = 1861- 1914م)،تاريخ اللغة العربية، الطبعة الأولى: 1904م، مطبعة الهلال، مصر.

16- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي الكاتب (ت بعد 292هـ)،تاريخ اليعقوبي دار صادر، بيروت.

17- أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (350 – 429هـ)،تحفة الوزراء تحقيق: حبيب علي الراوي، والدكتورة ابتسام مرهون الصفار، الطبعة الأولى: 1977م، وزارة الأوقاف، بغداد، مطبعة العاني.

18- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852هـ)،تقريب التهذيب، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ، مصورة عن الطبعة الثانية: 1395هـ = 1975م.

19- أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي 3500 – 429هـ).التمثيل والمحاضرة. تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو (1356 – 1414هـ = 1937 – 1994م)، الطبعة الأولى: 1381هـ = 1961م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

20- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حجر (773 – 852هـ)، تهذيب التهذيب؛ دار صادر – بيروت. نسخة مصورة من الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد الدكن، الهند: 1325هـ.

21- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (272 – 370هـ)،تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (1327 – 1408هـ = 1909 – 1988م)، وآخرين، الطبعة الأولى: 1384هـ = 1964م، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة.

22- أحمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب ، الطبعة الثانية: 1391هـ = 1971م، مصطفى البابي الحلبي – القاهرة.

23- أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (350 – 429هـ).خاص الخاص، حققه وعلق عليه: د. صادق النقوي، الطبعة الأولى: 1405هـ = 1984م، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.

24- أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (000 – 337هـ).الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: د. محمد حسين الزبيدي. دار الرشيد للنشر: 1981م، بغداد.

25- عبدالقادر بن عمر البغدادي (1030 – 1093هـ = 1620 – 1682م)،خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون (1327 –1408هـ = 1909 – 1988م)، الطبعة الأولى: 1979 – 1986م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الخانجي، القاهرة.

26- صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري (900 – بعد 923هـ)،خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الطبعة الثانية: 1391هـ = 1971م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

27- البحتري:ديوان البحتري (206- 284هـ)، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (1326- 1404هـ = 1908- 1984م)، دار المعارف بمصر .

28- غيلان بن عُقْبة العَدَويّ (77 – 117هـ)،ديوان ذي الرمة غيلان بن عُقْبة العَدَويّ (77 – 117هـ)، حققه: د. عبدالقدوس ناجي أبو صالح، الطبعة الأولى: 1392هـ = 1972م، مجمع اللغة العربية بدمش، سورية.

29- أبو علي نور الدين الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (1040 – 1102هـ)،زهر الأكم في الأمثال والحكم، حققه: د. محمد حجي، و د. محمد الأخضر، الطبعة الأولى: 1401هـ = 1981م، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

30- أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي (432 – 487هـ = 1040 – 1094م)،سمط ([1]) اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (1306- 1398هـ = 1888- 1978م)، الطبعة الثانية: 1404هـ = 1984م)، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

31- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673 – 748هـ)،سير أعلام النبلاء ،تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى: 1401هـ = 1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

32- أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي الدمشقي (1032 – 1089)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية: 1399هـ = 1979م، دار المسيرة، بيروت، نسخة مصورة عن نشرة مكتبة القدسي، عام: 1350هـ.

33- محمد إسماعيل عبدالله الصاوي،شرح ديوان جرير (33- 116هـ)، دار الأندلسي للطباعة والنشر، بيروت.

34- د. إحسان عباس،شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (000- 41هـ)، الطبعة الثانية: 1984م، وزارة الإعلام، الكويت.

35- عبدالرحمن البرقوقي (1293 – 1363هـ = 1876 – 1944م)،شرح ديوان المتنبي (303 – 354هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة.

36- عبيدالله بن عبدالكافي العبدي (القرن السابع والقرن الثامن)،شرح المضنون به على غير أهله، مكتبة دار البيان ببغداد، ودار صعب ببيروت .

37- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (213 – 276هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر (1309 – 1377هـ = 1892 – 1958م)، الطبعة الثانية: 1966 – 1967، دار المعارف بمصر.

38- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (000 – 395هـ)، الصاحبي،تحقيق: السيد أحمد صقر: القاهرة 1977م، عيسى البابي الحلبي.

39- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (756هـ – 821هـ)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.

40- شباب العصفري: أبو عمرو خليفة بن خياط (160 – 240هـ)،الطبقات، حققه: أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى: 1387هـ = 1967م، مطبعة العاني، بغداد.

41- أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري (168 – 230هـ)الطبقات الكبرى، كاتب الواقدي (130 – 207هـ)، دار صادر ودار بيروت : 1380هـ = 1960م، بيروت.

42- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673 – 748هـ)،العبر في خبر مَنْ غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد (1334 – 1387هـ = 1916 – 1967م)، ورشاد عبدالمطلب (1335 – 1394هـ = 1917 – 1975م)، الطبعة الثانية: 1984م، وزارة الإعلام، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.

43- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (246 – 327هـ)،العقد الفريد، حققه: أحمد أمين 1295 – 1373هـ = 1878 – 1954م)، وأحمد الزين (1318 – 1366هـ = 1900 – 1947م)، وإبراهيم الأبياري (1320 – 1414هـ = 1902 – 1994م)، وعبدالسلام محمد هارون (1327 – 1408هـ = 1909 – 1988م)، الطبعة الثالثة: 1384هـ = 1965م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

44- ابن سيد الناس أبو الفتح محمد ابن محمد بن محمد الأندلسي الإشبيلي المصري (671-734هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدسي: 1356هـ، القاهرة.

45- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (213 – 276هـ)،عيون الأخبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

46- أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (000 – نحو 291هـ)،لفاخر، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، الطبعة الأولى: 1380هـ = 1960م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

47- أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (000 – 279هـ)،فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه: رضوان محمد رضوان، مطبعة السعادة: 1959م، مصر.

48- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد النديم البغدادي (000 – 438هـ)،الفهرست، تحقيق: رضا تجدد،كراجي، باكستان.

49- محمد بن شاكر الكتبي (000- 764هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى: 1973م، دار الثقافة، بيروت.

50- ابن الأثير عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (555 – 630هـ)،الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى: 1385هـ = 1965م، دار صادر، ودار بيروت، بيروت.

51- أبو الفضل جعفر بن محمد أبي عبدالله شمس الخلافة (543- 622هـ)،كتاب الآداب، حققه: عبدالرحمن بن ناصر السعيد، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الأدب في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية عام: 1421هـ.

52- أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (000 – نحو 400هـ)،كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (1322 – 1401هـ = 1905 – 1981م)، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

53- أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (350 – 429هـ)،لطائف اللطف، تحقيق: د. عمر الأسعد، الطبعة الثانية: 1407هـ = 1987م، دار المسيرة، بيروت.

54- نيسان مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني، المجلد : 61، رجب: 1406هـ، (أبريل): 1986م.

55- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (000- 518هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (1322 – 1401هـ = 1905 – 1981م)، الطبعة الأولى: 1978 – 1979م، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

56- الدكتور محمد حميد الله،مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الثالثة: 1389هـ = 1969م، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

57- أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي (000 – 245هـ)المحبر، تحقيق: د. إيلزه ليختن شتيتر. الطبعة الأولى: 1361هـ = 1942م، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

58- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (000 – 346هـ)،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (1318 – 1393هـ = 1900 – 1973م)، الطبعة الرابعة: 1384هـ = 1964م، مطبعة السعادة بمصر.

59- شهاب الدين محمد بن أحمد الأيشيهي المحلي (790 – 850هـ)،المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة: 1371هـ = 1952م، مصطفى البابي الحلبي.

60- الدكتور ناصر الدين الأسد،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة الرابعة: 1969م، دار المعارف بمصر.

61- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (213 – 276هـ)،المعارف، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الطبعة الثانية. 1969م، دار المعارف بمصر، القاهرة.

62- شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (574 – 626هـ)، معجم البلدان،الطبعة الأولى: 1376هـ = 1957م، دار صادر، ودار بيروت، بيروت.

63- محمد بن عمران بن موسى المرزباني البغدادي (296 – 384هـ).معجم الشعراء، تحقيق: سالم الكرنكوي (فريتس كرنكو) (1872 – 1953م). مكتبة القدسي: 1354هـ، القاهرة.

64- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (000- 395هـ)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (1327 – 1408هـ = 1909 – 1988م)، الطبعة الثانية: 1389هـ = 1969م، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

65- ابن خلدون (732 – 808هـ)،مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي (1319 – 1412هـ = 1901 – 1992م)، الطبعة الثانية: 1981، دار نهضة مصر، القاهرة.

66- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (000- 370هـ)، المؤتلف والمختلف، تحقيق : أحمد عبدالستار فراج (1335 – 1401هـ = 1916 – 1981)، الطبعة الأولى: 1381هـ = 1961م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

67- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (000- 421هـ)،نثر الدرّ، تحقيق: عدد من المحققين، الطبعة الأولى: 1981 – 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

68- أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (813 – 874هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

69- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (696 – 764هـ) .الوافي بالوفيات، تحقيق: مجموعة من المحققين. 1399هـ – 1408هـ = 1979 – 1988م. فيسبادن – شتوتغارت – ألمانيا.

70- أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (000 – 331هـ). الوزراء والكتاب، تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، الطبعة الأولى: 1357هـ = 1938م، مطبعة أحمد حنفي بمصر.

71- أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (000- 331هـ)،الوزراء والكتاب، حققه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الثانية: 1401هـ = 1980م، شركة مصطفى الحلبي، القاهرة.

72- أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان (608 – 681هـ)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى: 1397هـ = 1977م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

73- نصر بن مزاحم المنقري (000 – 212هـ)وقعة صفين، حققه: عبدالسلام محمد هارون (1327 – 1408هـ = 1927 – 1988م)، الطبعة الثالثة: 1401هـ = 1981م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

74- أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (350- 429هـ)،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (1318- 1393هـ = 1900- 1973م)، الطبعة الثانية: 1392هـ= 1973م، نسخة مصورة، دار الفكر، بيروت .

Abstract

John Milton's *Paradise Lost*not only enjoys a peculiar place in English literature but also in the sphere of international literature. The epic got popularity among readers the moment it appeared for the first time(1667) as well as it gained attention of contemporary literati & critics. The intellectual & literary discourse on this epic is also unique in quality quantity & diversity. The secret is in the work itself, as the form & the content of the epic, both, have been provoking a host of philosophical, religious & literary issues through out intellectual history of mankind.

The present article: الفردوس المفقود لملتون في الرّؤية النّقدية المعاصرة attempts to cover a spectrum of matters & questions raised by European critics & writers. The most important elements, that have been elucidated, includes the style, sublimation, basic theme, image of Satan & hero in *Paradise Lost.*

The English works, about Paradise Lost, have usually not been rendered into Arabic. For this reason & for the purpose to maintain originality, English sources have been utilized to shape up the body of the article. Hence the writer is to be addressed for any different suggestion or idea relating to the translated texts &criticism.

The effort has been made to include as much dimensions as possible. For this purpose, brevity & summarization were the only option available.s